المنهج النبوي
في تدبر القرآن الكريم

بحث مقدم إلى:

المؤتمر العالمي الأول لتدبر القرآن الكريم
الذي تنظمه: الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم

إعـداد

أ.د. صالح يحيى صواب

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة صنعاء

drsawab@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾ [سورة الكهف : ١-٣].

والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبدالله الذي أنزل الله عليه القرآن ؛ ليكون للناس بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلّم تسليما كثيرا، أما بعد:

فإن من فضل الله ﷻ على هذه الأمة أن بعث فيها محمدا ﷺ وأنزل عليه القرآن الكريم ؛ تزكية للأمة وهداية لها، قال سبحانه: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

ولا تتحصّل الفائدة من هذا الكتاب إلا بفهْمه وتدبُّر معناه، كما أمر الله –سبحانه وتعالى– ، قال سبحانه: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٩].

ولا شك أن أعلم الناس بالقرآن الكريم هو نبينا محمد ﷺ، فقد تكفّل الله –سبحانه وتعالى– له بحفظه وبيانه، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ١٧ ــ ١٩].

وأمرنا سبحانه بالاقتداء به ﷺ، فقال سبحانه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وجعل ذلك من الأسباب الموجبة لمحبة الله –سبحانه– ومغفرة الذنوب، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقد أمَر النبي ﷺ أمته أن يتعلموا منه أمور دينهم، فقال ﷺ في شأن الصلاة: "وصلوا كما رأيتموني أصلي"(١)، وقال ﷺ في الحج: "لتأخذوا مناسككم"(١) وغير ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٨٧،٨٦/٩ من حديث مالك بن الحويرث، كتاب ، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق.

ومما يُقتدى به ويؤخذ عن النبي ﷺ الوحي المنزّل من الله –تعالى– ، وكيفية تلاوته ، وترتيله ، وتدبُّره والتعبّد به.

ولا شك أنه ﷺ أعلم الناس بالقرآن تلاوة ، وفهْما ، وتدبّرا ، وتطبيقا، وعلى البشرية أن تسير على نهجه وتهتدي بهديه، وتقتدي به في كل الأمور.

وقد نُقل لنا مواقف تأثر فيها النبي ﷺ بالقرآن تأثُّرا واضحا، ولكي نتأثّر بالقرآن ونتدبّره فينبغي لنا أن نقتدي به في كيفية تعامله مع القرآن الكريم.

ولهذا رأيت أن أكتب هذا البحث، الذي أقف من خلاله على المنهج النبوي في تدبر القرآن الكريم والتأثر به ؛ لكي يستفيد منه المسلمون، ويطبّقوه في حياتهم، وهو بعنوان:

المنهج النبوي في تدبر القرآن الكريم

وسيشتمل البحث –بإذن الله تعالى– على تمهيد ومبحثين وخاتمة.

التمهيد: أهمية تدبر القرآن والحاجة إليه.

المبحث الأول: طريقة تلاوته ﷺ للقرآن، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: أهمية المنهج النبوي في التدبر.

المطلب الثاني: ترتيل القرآن.

المطلب الثالث: الترسل في القراءة.

المطلب الرابع: تحسين الصوت بالقرآن.

المطلب الخامس: الجهر بالقراءة.

المطلب السادس: إطالة القراءة.

المبحث الثاني: الأسباب المعينة على التدبّر، وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: القراءة في صلاة.

المطلب الثاني: التفكر في معاني الآيات.

المطلب الثالث: اختيار الوقت المناسب للتدبر.

المطلب الرابع: ترديد الآيات وتكرارها.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ص٥١٢، من حديث جابر، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا، رقم ١٢٩٧.

المطلب الخامس: استماع القراءة من الآخرين.

المطلب السادس: التفاعل العملي مع القرآن.

المطلب السابع: البكاء عند سماع القرآن.

الخاتمة .. وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته.

ولا شك أن للتدبر أسبابا كثيرة ومتعددة، غير أنني حاولت أن أقتصر في هذا البحث على ما أُثر عن النبي ﷺ ؛ لنقف على المنهج النبوي، وننهل من المنبع الأصيل، ونتأسى بالأسوة الحسنة، أسأل الله –تعالى- أن يجعلنا من المقتدين برسول الله ﷺ ، المهتدين بهديه، السائرين على نَهْجه، وأن يحشرنا معه، وأن يجعله لنا شفيعا يوم القيامة، وأن ينفعنا بما علّمنا، وأن يجعل ذلك خالصا لوجهه الكريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيـد: أهمية تدبّر القرآن والحاجة إليه:

الغرض من إنزال القرآن هداية البشرية، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٥ – ١٦]، ولا تتحقق الهداية بالقرآن والاستفادة من نوره إلا بالوقوف على معانيه ، وفهْم آياته ، وتمكُّنه من القلوب، ومن ثَمَّ العمل به.

وقد سمع المشركون القرآن من النبي ﷺ مرارا كثيرة لكنهم لم يؤمنوا بالقرآن ، ولم يهتدوا بهديه ، ولم يستنيروا بنوره ؛ وذلك لإعراضهم عنه وعدم تدبّره والاتعاظ بمواعظه، كما قال سبحانه: ﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ (٦٦) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ (٦٧) أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٦٦ - ٦٨].

بل لقد كان المؤمنون والمنافقون يجلسون حول النبي ﷺ جنْبا إلى جنب، يستمعون إلى القرآن ويشهدون نزوله على النبي ﷺ، فيتفاوت تأثُّر كلٍّ منهم بالقرآن وتتباين مواقفهم تباينا كبيرا تجاه القرآن، فيزيد المؤمنين إيمانا إلى إيمانهم، في الوقت الذي يزيد فيه المنافقين رجسا إلى رجسهم، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٤ – ١٢٥].

فلا تتحقق هداية القرآن ولا يمكن معرفة مقدار عظمته إلا بتدبُّره ومعرفة معانيه ؛ ولهذا ندب سبحانه وتعالى إلى تدبُّر القرآن والوقوف على معانيه والاتعاظ بوعْظه، فقال سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤]، وقال سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧].

قال النووي –رحمه الله– : "فإذا شَرع في القراءة فليكن شأنه الخشوع والتدبر عند القراءة، والدلائل عليه أكثر من أن تُحصر، وأشهر وأظهر من أن تُذكر، فهو المقصود والمطلوب، وبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب"(١).

وبدون تدبُّر القرآن والعمل به يكون حال المسلمين كحال اليهود الذي آتاهم الله –سبحانه– التوراة فلم يعملوا بها ونبذوها وراء ظهورهم، فضرب لهم الرحمن مثلا بالحمار الذي يحمل فوق ظهره كتبا عظيمة لا يستفيد

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن ص٨١ .

منها، كما في قوله سبحانه: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الجمعة: ٥].

أو مثل ذلك الرجل الذي أعرض عن آيات الله وآثر الهوى على الهدى، فضرب الله ﷻ له مثلا في أبشع صورة وأقبحها، وهي صورة الكلب، كما في قوله سبحانه: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦].

ولذلك فيجب على المسلمين إدراك أهمية تدبّر القرآن الكريم، والبْحث عن الأسباب والوسائل المعينة على فهمه وتدبره؛ لكي يحقّق الهدف من نزول القرآن ، وهو الهداية ، والذكرى ، والاتعاظ بالقرآن الكريم.

المبحث الأول: طريقة تلاوته ﷺ للقرآن

المطلب الأول: أهمية المنهج النبوي في التدبر.

النبي ﷺ أعرف الأمة بربه –سبحانه– وبكتابه العزيز، فهو المنزّل عليه القرآن، وهو ﷺ المخرِج للبشرية – بإذن الله – من الظلمات إلى النور بهذا القرآن، ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ (١) ﴾ [إبراهيم: ١].

وقد أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بتلاوة القرآن وإنذار الناس به، فقال سبحانه: ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال سبحانه: ﴿ كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ ﴾ [الرعد: ٣٠]، وقال سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا ﴾ [الشورى: ٧].

كما أمره سبحانه وتعالى ببيان القرآن للناس: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤) ﴾ [النحل: ٤٤]، فهو المبيّن عن الله –تعالى– ، ولا يكون البيان إلا من عارفٍ عالمٍ بما يبيِّنه للناس.

وقد أمرنا الله –سبحانه وتعالى– باتباع رسوله ﷺ والاقتداء به والاهتداء بهديه، فقال سبحانه: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾ [الحشر: ٧]، وقال: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقد كان النبي ﷺ أتقى الناس لله –تعالى– وأخشاهم له، ومن آثار ذلك بكاؤه عند تلاوة القرآن، وتأثُّره به.

ومن المهم أن نقف على حال النبي ﷺ عند تلاوته للقرآن ؛ لنقتدي به في ذلك ونسير على نهجه، فخير الهدي هدي محمد ﷺ .

المطلب الثاني: ترتيل القرآن:

يُعدّ ترتيل القراءة وتجويدها من أهم أسباب التدبر، والتجويد: إخراج كل حرف من مخْرجه وإعطاؤه حَقّه ومستحَقّه – بفتح الحاء – من الصفات(١).

وللقرآن الكريم خاصية تختلف عن سائر الكلام العربي من حيث النطق به وكيفية أدائه، وهو التجويد الذي يختص به القرآن الكريم، والذي تلقّاه الصحابة ﷺ من في النبي ﷺ، ثم نقلوه إلينا.

قال النووي: "قال العلماء: الترتيل مستحب للتدبر وغيره، قالوا: ولهذا يُستحب الترتيل للعجمي الذي لا يفهم معناه ؛ لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام، وأشد تأثيرا في القلب"(٢).

وللتجويد أثره في التأثير في النفوس ولفْت انتباه المستمع وشدّه نحو القارئ، وهو إحدى خصائص القرآن الكريم الذي يتميز به عن سائر كلام العرب.

وقد أمر الله ﷻ رسوله ﷺ بترتيل القرآن، فقال سبحانه: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ **[المزمل: ٤]**.

وكانت طريقة النبي ﷺ أنه يرتِّل القرآن كما أمره الله –تعالى– ، كما روت أم المؤمنين حفصة – رضي الله عنها – قالت: "ما رأيت رسول الله ﷺ صلى في سُبحته(٣) قاعدا، حتى كان قبل وفاته بعام، فكان يصلي في سُبحته قاعدا، وكان يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها"(٤).

وعن قتادة – رحمه الله – أنه قال: "سئل أنس: كيف كانت قراءة النبي ﷺ؟ فقال: كانت مدا، ثم قرأ: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ يمد ببسم الله، ويمد بالرحمن، ويمد بالرحيم (٥).

---

(١) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبدالفتاح بن السيد عجمي ص٤٥ .

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن ص٨٩ .

(٣) السُّبحة: بضم السين وإسكان الباء: النافلة. صحيح مسلم بشرح النووي ٢١/٥ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ص٢٩٠ رقم ٧٣٣.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ١٩٩/٦ رقم ٥٠٤٦ .

وعن أم سلمة — رضي الله عنها – أنها سُئلت عن قراءة رسول الله ﷺ، فقالت: كان يقطّع قراءته آية آية: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ١ – ٤] (١).

وإخراج كل حرف من مخرجه دون تداخل بين الحروف يوضّح معنى الآية، ويعطي فرصة للعقل ليفهمها، وللقلب كي يتأملها، ومن ثَمّ تقع الموقع المناسب فيتأثر بها القارئ والمستمع.

ولهذا ذهب علماء التجويد إلى أن القراءة بالتجويد واجب على القارئ، كما قال ابن الجزري:

والأخذ بالتجويد حتم لازم   من لم يجوّد القرآن آثم (٢)

وذلك أن القراءة سُنة متبعة تلقاها الصحابة عن النبي ﷺ، وقد كان يرتّل القرآن ويجوّده، فوجب القراءة بالتجويد.

المطلب الثالث: الترسل في القراءة:

وهو أمر زائد على التجويد والترتيل ، وذلك بأن يقرأ القارئ القرآن متمهّلا، ولا يقتصر على جودة الأداء فقط كما هو الحال في التجويد، بل يتأمل ما يقرأ ويفهمه ويقف عنده.

وقد ثبت الترسُّل في قراءة القرآن من فعْل رسول الله ﷺ، فعن حذيفة ؓ قال: (صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسّلا..) الحديث(٣).

فقول حذيفة ؓ في وصف قراءة النبي ﷺ : "يقرأ مترسّلا" دليل على أهمية التأني في القراءة.

ولا شك أن التأني في القراءة يعطي القارئ والسامع الوقت الكافي لفهم النص، ويجعل القلب يتأثر بالنص المسموع ويركّز عليه.

وقد أخبر سبحانه وتعالى أن من واجب النبي ﷺ أن يقرأ القرآن على أمته بتمهّل ورويّة، فقال سبحانه: ﴿ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴾ [الإسراء: ١٠٦] ؛ وذلك لتحصل الاستفادة والاتعاظ من سماع القرآن ، وذلك لا يكون إلا مع التمهل وعدم العجلة.

ولم تكن عادة النبي ﷺ الاستعجال في القراءة، ولم يثبت أنه ﷺ ختم القرآن في ليلة، فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت : "ولا أعلم نبي الله ﷺ قرأ القرآن كله في ليلة، صلى ليلة إلى الصبح"(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ص٤٣٩، رقم ٤٠٠١، وصححه الألباني، صحيح وضعيف سنن أبي داود.

(٢) متن الجزرية في معرفة تجويد الآيات القرآنية، لابن الجزري، بشرح الشيخ/ زكريا الأنصاري ص١٥ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ص٣٠٦، رقم ٧٧٢ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث طويل ص٢٩٣،٣٩٤ رقم ٧٤٥، من حديث طويل.

وكانت طريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين التأني في القراءة وكراهية قراءة القرآن بسرعة تخل بالمعنى، ويدل على ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ قال: قال النبي ﷺ لأصحابه: (أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة، فشقّ ذلك عليهم، وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله، فقال: الله الواحد الصمد(١): ثلث القرآن)(٢).

والشاهد من هذا الحديث أنه ﷺ لما ندبهم إلى قراءة ثلث القرآن شقّ ذلك عليهم واستعظموه وجعلوه أمرا صعب المنال، بقوله: (وأينا يطيق ذلك يا رسول الله)؟ وهذا يدل على أن قراءتهم كانت قراءة متأنية ولو كانت قراءة سريعة مستعجلة لما صعُب على أحدهم قراءة ثلث القرآن، وهو عشرة أجزاء، وهم الذين يمضون ليلهم رُكّعا وسجودا.

وهذا يدل على خطأ من يسرع في القراءة بحيث يُخلّ بتجويد القرآن، وقد جاء رجل إلى ابن مسعود ﷺ فقال: "قرأت المفصّل الليلة في ركعة، فقال: هذّاً كهذّ الشعر؟! لقد عرفت النظائر التي كان النبي ﷺ يقرن بينهن، فذكر عشرين سورة من المفصّل، سورتين في ركعة"(٣).

وفي رواية عنه ﷺ أنه قال: "لا تنثروه نثْر الرمل، ولا تهذّوه هذّ الشعر، قِفوا عند عجائبه، وحرِّكوا به القلوب، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة"(٤).

وبيَّن النبي ﷺ أن القراءة السريعة سبب في عدم فقه القرآن الكريم، فعن عبدالله بن عمرو – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث)(٥).

وفي لفظ: (اقرأ في سبع ولا تزيدن على ذلك)(٦).

ويجب على قارئي القرآن، وعلى أئمة الصلوات وبخاصة في رمضان أن يترسّلوا في قراءتهم تأسيا بالنبي ﷺ، وألا يكون هَمّ أحدهم ختْم القرآن أو أجزاء منه دون فهْم وتدبُّر.

---

(١) أي: سورة الإخلاص، قال النووي: "قوله: (الله الواحد الصمد ثلث القرآن) عند الإسماعيلي من رواية خالد الأحمر عن الأعمش، فقال: "يقرأ قل هو الله أحد فهي ثلث القرآن"، فكأن رواية الباب بالمعنى، وقد وقع في حديث أبي مسعود المذكور نظير ذلك، ويحتمل أن يكون سمى السورة بهذا الاسم لاشتمالها على الصفتين المذكورتين" فتح الباري ٦٠/٩ .

(٢) صحيح البخاري ١٨٩/٦، رقم ٥٠١٥، كتاب فضائل القرآن، باب فضل قل هو الله أحد.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ١٥٥/١، رقم ٧٧٥، ومسلم في صحيحه ص ٣٢٠، رقم ٨٢٢.

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٦٢/١٤، وعزاه للبغوي ولم أجده في تفسيره.

(٥) الحديث أخرجه أبو داود في سننه ص١٦٨، رقم ١٣٩٤، وأحمد في مسنده٣٨٩/١١، قال محققه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٦) أخرجه أبو داود، المصدر السابق، حديث رقم ١٣٨٨ .

المطلب الرابع: تحسين الصوت بالقرآن:

من أسباب تدبّر القرآن التي أمر بها النبي ﷺ تحسين الصوت بالقرآن الكريم، وهو قدرٌ زائد على التجويد والترتيل، فقد قال ﷺ: (زيّنوا القرآن بأصواتكم)(١).

وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به)(٢).

وأخرج أبو داود عن عبد الجبار بن الورد، قال: سمعت ابن أبي مليكة يقول: قال عبيد الله بن أبي يزيد قال: مرّ بنا أبو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته، فدخلنا عليه، فإذا رجل رثّ البيت، رثّ الهيئة، فسمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن) قال: فقلت لابن أبي مليكة: يا أبا محمد، أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت؟ قال: يحسّنه ما استطاع(٣).

وقد كان النبي ﷺ يستمع إلى بعض الصحابة الذين يُحسِّنون أصواتهم بالقرآن، ويوصي بالقراءة عليهم والتلقّي منهم، فقد استمع ﷺ إلى قراءة أبي موسى، وامتدحه لحُسن صوته، فقال له: (لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود)(٤).

وفي رواية أن ابن مسعود ﷺ قال: "والله يا رسول الله، لو علمت أنك تسمع قراءتي لحبّرته لك تحبيرا".

وقد أوصى النبي ﷺ بقراءة القرآن على عبدالله بن مسعود ؛ لحُسن صوته وجوْدة قراءته، فقال ﷺ: (من أحب أن يقرأ القرآن غضّا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد)(٥) يعني ابن مسعود.

إن الصوت الجميل يجلب السامعين لسماعه، وكلما ازداد تحسينا ازداد حرص الناس على سماعه..

المطلب الخامس: الجهر بالقراءة:

من عوامل التدبر لكتاب الله –تعالى– الجهر بالقرآن الكريم، وقد كان النبي ﷺ يجهر بالقرآن، وبيَّن أن ذلك محمود، فقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (ما أذن(٦) الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به)(٧).

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ص١٧٦، رقم ١٤٦٨، وابن ماجه ص٤٢٦، رقم ١٣٤٢ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١٥٨/٩ رقم ٧٥٤٤، ومسلم في صحيحه ص٣١١ رقم ٧٩٢ واللفظ له.

(٣) سنن أبي داود ص١٧٧ رقم ١٤٧١ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ص٣١١ رقم ٧٩٣،

(٥) أخرجه ابن ماجه برقم (١٣٨) . سنن ابن ماجه بتحقيق الألباني ص٣٩ .

(٦) ما أذن : ما استمع. فتح الباري ٦٩/٩ .

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه ١٥٨/٩ رقم ٧٥٤٤، ومسلم في صحيحه ص٣١١ رقم ٧٩٢ واللفظ له.

قال الغزالي بعد أن ذكر النصوص الدالة على الإسرار بالقراءة والجهر بها: "فالوجه في الجمع بين هذه الأحاديث أن الإسرار أبعد عن الرياء والتصنُّع، فهو أفضل في حق من يخاف ذلك على نفسه، فإن لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوّش الوقت على مصلّ آخر فالجهر أفضل؛ لأن العمل فيه أكثر، ولأن فائدته أيضا تتعلق بغيره، فالخير المتعدي أفضل من اللازم، ولأنه يوقظ قلب القارئ، ويجمع همَّه إلى الفكر فيه، ويصرف إليه سمعه، ولأنه يطرد النوم في رفع الصوت، ولأنه يزيد في نشاطه للقراءة، ويقلله من كسله"(١).

المطلب السادس: إطالة القراءة.

كلما أطال المرء القراءة كان أدعى لحضور القلب وارتباطه بما يتلو، وانسجامه مع الآيات التي يقرأها واجتماع الذهن حولها، وهذا بخلاف القراءة القصيرة التي قد لا يتمكن بعض الناس من استحضار القلب والخشوع معها.

وقد كان من نهج رسول الله ﷺ إطالة القراءة في الصلاة، فعن حذيفة ﷺ قال: (صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسّلا، إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبّح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرّ بتعوّذ تعوّذ، ثم ركع فجعل يقوله: سبحان ربي العظيم"، فكان ركوعه نحوا من قيامه، ثم قال: "سمع الله لمن حمده"، ثم قام طويلا قريبا مما ركع، ثم سجد فقال: "سبحان ربي الأعلى"، فكان سجوده قريبا من قيامه)(٢).

بل بلغ من طول قيامه ﷺ في الصلاة والتهجد بالقرآن أن يطيل القيام حتى يُتعب من يصلي معه، فعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: (صليت مع النبي ﷺ ليلة، فلم يزل قائما حتى هممت بأمر سوء، قلنا: وما هممت؟ قال: هممت أن أقعد وأذر النبي ﷺ)(٣).

المبحث الثاني: الأسباب المعينة على التدبر

المطلب الأول: القراءة في صلاة:

الصلاة صلة بين العبد وبين ربه، يتوجّه فيها إلى الله وحده ويخلص له، وينقطع عن مشاغل الحياة الأخرى.

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/٥٠٤ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ص٣٠٦، رقم ٧٧٢ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ص٥١ رقم ١١٣٥، واللفظ له، ومسلم ص٣٠٦، رقم ٧٧٣.

ولا شك أنه عندما تكون تلاوة القرآن في الصلاة فإن ذلك يعين على تدبر القرآن ؛ وذلك أن العبد في صلاته يتعبّد الله ﷻ بكل أفعاله وأقواله، فيستشعر وقوفه بين يدي الله – سبحانه – ، وتزداد خشيته له، وقد وردت الأخبار الصحيحة عن طول قيام النبي ﷺ وأصحابه ﷺ والتابعين لهم بإحسان، وإنما يكون القيام بقراءة القرآن، فجمعوا بين القيام والتلاوة.

وقد كانت قراءة النبي ﷺ للقرآن في كثير من الأحوال أثناء الصلاة، عملا بقوله سبحانه: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء: ٧٨ - ٧٩].

وأخبر النبي ﷺ بأن من حق القيام بواجب القرآن القيام به آناء الليل وآناء النهار، فقال ﷺ: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار)(١).

فينبغي أن يجعل المسلم جزءا من تلاوته في صلاته وبخاصة صلاة الليل ؛ لارتباط الصلاة بالتلاوة، ولحضور القلب في الصلاة أكثر منه خارج الصلاة، كما قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ﴾ [المزمل: ١ - ٦].

المطلب الثاني: التفكر في معاني الآيات:

من عوامل التدبر لكتاب الله –تعالى– التفكُّر في معنى الآيات، فيُعمِل القارئ فِكْره في معاني الآية ودلالاتها وما اشتملت عليه من وعْظ ، أو ترغيب ، أو ترهيب ، أو دلائل على وحدانية الله –تعالى– وعظمته، وقد ورد أن النبي ﷺ كان يتفكّر في بعض الآيات ويتأملها، بل ورد الوعيد لمن لم يتفكّر فيها.

ففي الحديث عن عطاء ، قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة، فقالت لعبيد بن عمير: قد آن لك أن تزورنا، فقال: أقول يا أمَّهْ كما قال الأول: زُر غِبّا تزدد حبا، قال: فقالت دعونا من رطانتكم هذه، قال ابن عمير: أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ، قال: فسكتت، ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي قال: (يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي) . قلت: والله إني لأحب قُربك وأحب ما سَرَّك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بلّ حجره، قالت: ثم بكى، فلم يزل يبكي حتى بلّ لحيته، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بلّ الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله، لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟ قال: (أفلا أكون عبدا شكورا، لقد نزلت علي الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، الآية كلها)

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ص٣١٧، رقم ٨١٥ .

فبين ﷺ أهمية التفكر في آيات القرآن الكريم، وذكَر الوعيد لمن لم يتفكر فيها.

وهذه الآية إحدى الآيات التي تتحدث عن خلق السموات والأرض وما فيهما من آيات، وهاهو النبي ﷺ يتفكر فيها فيبكي حتى بلَّ حجرَه، ثم يستمر في البكاء حتى بلَّ لحيته، ثم يستمر في البكاء حتى بلّ الأرض، ويجيء بلال ﷺ فيتعجب من بكائه ﷺ وقد غفر الله ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، فيخبره صلوات الله وسلامه عليه بسبب بكائه: (لقد نزلت عليّ الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكر).

إن التفكّر في آيات القرآن الكريم منهج نبوي في التدبر، يعمّق المعنى في نفس القارئ، ويفتح له آفاقا إيمانية واسعة، فعندما يتفكر المرء في خلق السموات والأرض وما فيهما من المخلوقات العلوية أو السفلية وتنوّعها وكثرتها ، وسعة هذا الكون تجعل الإنسان يوقن ويزداد يقينا أن هذا الكون لم يُخلق عبثا وإنما خلقه الله –تعالى– لحكمة عظيمة، فلا يملك إلا أن يقول: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩١].

المطلب الثالث: اختيار الوقت المناسب للتدبر:

لكي يتأثر القلب بالقرآن ويُحسن تدبّره لابد من اختيار الوقت المناسب للتدبر، وهو الوقت الذي يختفي فيه ما يُشتِّت ذهن القارئ بحيث لا يكون هناك ما يشغل قلبه أو يشوِّش عليه.

وأجمل وقت وأنسبه هو وقت الليل، عندما تهدأ الحياة، ويسكن الناس، فلا ضجيج ولا إزعاج فيتفرّغ القلب لسماع القرآن وتلاوته.

وقد أمر الله نبيه محمدا ﷺ بقيام الليل، وأمره بترتيل القرآن فيه، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ [المزمل: ١ – ٦] .

قال الطبري –رحمه الله– : "ويعني بقوله: ﴿ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا ﴾ : ناشئة الليل أشد ثباتا من النهار، وأثبت في القلب، وذلك أن العمل بالليل أثبت منه بالنهار"(١).

وأخرج الطبري عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في قوله: ﴿ وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ قال: أدنى من أن تفقهوا القرآن، وأخرج عن مجاهد: أثبت قراءة(٢).

وذلك لفراغ القلب عن سائر الأشغال التي يتعلق بها في النهار ؛ ولهذا كان دأب الصالحين قيام الليل، كما قال سبحانه: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة: ١٦] .

---

(١) جامع البيان ٣٧٠/٢٣ .

(٢) المصدر السابق ٣٧٤/٢٣ .

وقد أمر الله –تعالى– رسوله ﷺ أن يتهجد بالقرآن، والتهجد إنما يكون بعد النوم، قال سبحانه: ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٨ – ٧٩] .

وقد كان النبي ﷺ يكثر من صلاة الليل وتلاوته، ويخلو بربه، فيتدبر القرآن ويخشع لله –تعالى– .

ومن تأمّل حال أصحاب النبي ﷺ والسلف الصالح علم أن غالب أحوالهم أنهم إنما كانوا يقرؤون أحزابهم من القرآن بالليل، فيجعلون النهار لقضاء حاجاتهم، ويجعلون الليل لمناجاة ربهم، كما وصفهم الله –تعالى– بقوله: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الذاريات: ١٦ - ١٨] .

وفي الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتب له كأنما قرأه من الليل) [(١)].

وهذا دليل على أن الأصل في قراءة القرآن أن تكون في الليل، وذلك الوقت أجمع للقلب، وأصفى للذهن، وأبعد عن الانشغال بسائر الملهيات، فهو أدعى لتدبر كتاب الله –تعالى– .

المطلب الرابع: ترديد الآيات وتكرارها:

الوقوف عند الآية القرآنية وترديدها طريق إلى التدبر والخشوع ؛ ذلك أن كثرة التأمل وترديد الآيات يثبتها في قلب القارئ ويجعل القلب يتأملها ويتأثر بها، وكلما زاد تردادها زاد التأثر بها، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يردد بعض الآيات.

فعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: (قام رسول الله ﷺ ليلة من الليالي في صلاة العشاء، فصلى بالقوم، ثم تخلّف أصحاب له يصلون، فلما رأى قيامهم وتخلفهم انصرف إلى رحله، فلما رأى القوم قد أخلوا المكان رجع إلى مكانه فصلى، فجئت فقمت خلفه، فأومأ إليَّ بيمينه، فقمت عن يمينه، ثم جاء ابن مسعود فقام خلفي وخلفه، فأومأ إليه بشماله، فقام عن شماله، فقمنا ثلاثتنا يصلي كل رجل منا بنفسه، ويتلو من القرآن ما شاء الله أن يتلو، **فقام بآية من القرآن يرددها حتى صلى الغداة**، فبعد أن أصبحنا أومأت إلى عبد الله بن مسعود: أن سله ما أراد إلى ما صنع البارحة؟ فقال ابن مسعود بيده: لا أسأله عن شيء حتى يحدث إليّ، فقلت: بأبي أنت وأمي، قمت بآية من القرآن ومعك القرآن، لو فعل هذا بعضنا وجدنا عليه، قال: (دعوت لأمتي) ، قلت: فماذا أَجِبْتَ؟ -أو ماذا رُدَّ عليك؟ – قال: (أُجبت بالذي لو اطّلع عليه كثير منهم طلْعة تركوا الصلاة) . قلت: أفلا أبشر الناس؟ قال: "بلى". فانطلقتُ مُعْنقًا قريبًا من قَذْفة بحجر، فقال عمر: يا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ص٢٩٥ رقم ٧٤٧ .

رسول الله، إنك إن تبعث إلى الناس بهذا نَكَلوا عن العبادة، فناداه أن ارجع فرجع، وتلك الآية: ﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨])(١).

وكذا كان حال الصالحين فقد أخرج ابن أبي شيبة عن سعيد بن عبيد الطائي قال: سمعت سعيد بن جبير وهو يصلي بهم في شهر رمضان يردّد هذه الآية: ﴿ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٧٠ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ٧١ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ﴾ [غافر: ٧٠ – ٧٢](٢).

وكان الربيع بن خيثم يصلي فمرَّ بهذه الآية: ﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [الجاثية: ٢١].

وذكر النووي عن عبّاد بن حمزة قال: "دخلت على أسماء – رضي الله عنها – وهي تقرأ: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الطور: ٢٧]، فوقفتْ عندها، فجعلت تعيدها وتدعو، فطالت عليّ ذلك، فذهبت إلى السوق، فقضيت حاجتي، ثم رجعت وهي تعيدها وتدعو(٣).

المطلب الخامس: استماع القراءة من الآخرين:

للصوت الحسن طريقه إلى القلوب، والتأثير على السامعين، وبخاصة إذا كان القارئ من أهل القرآن العارفين المجوِّدين فإنه يسلب القلوب ، ويجذبها لسماع القرآن والتأثر بها.

قال النووي: "اعلم أن جماعات من السلف كانوا يطلبون من أصحاب القراءة بالأصوات الحسنة أن يقرؤوا وهم يستمعون، وهذا متفق على استحبابه، وهو عادة الأخيار والمتعبدين، وعباد الله الصالحين، وهو سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ"(٤).

وقد استمع النبي ﷺ إلى قراءة بعض أصحابه، بل وطلب من ابن مسعود ﵁ أن يقرأ عليه القرآن، وتأثر بالقراءة، ففي البخاري وغيره عن عبدالله بن مسعود ﵁ قال: قال لي النبي ﷺ: (اقرأ عليّ القرآن) قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: (إني أحب أن أسمعه من غيري) .

وفي رواية: "فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ، قال: (حسبك الآن، فالتفتُّ إليه فإذا عيناه تذرفان)(٥).

وقد ثبت أن النبي ﷺ استمع إلى قراءة أبي موسى، فقال له: "لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود"(١).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣٩٠/٣٥ رقم ٢١٤٩٥ ، قال محققه شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٤٤٤/٥، رقم ٨٤٥٤ .

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن ص٨٤ .

(٤) المصدر السابق ص١١٢ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ١٩٧/٦ رقم ٥٠٥٥، ٥٠٥٦ .

ولا مانع أن يستمع المفضول من الفاضل، والعالم ممن هو أقل منه علما، كما فعل النبي ﷺ في استماعه لابن مسعود.

وعلى المسلم أن يختار في استماعه من يجوّد القرآن ويترسّل في تلاوته، ويحسن الوقف والابتداء، ويقيم القرآن كما نُقل لنا عن رسول الله ﷺ .

المطلب السادس: التفاعل العملي مع القرآن:

من عوامل التدبر التي كان النبي ﷺ يمارسها في تلاوته للقرآن: التفاعل مع القرآن الكريم، والإحساس بخطاب القرآن، والتأثر به.

وكان النبي ﷺ يتفاعل مع تلاوة القرآن، فيطبق ما يمكن تطبيقه، كما في حذيفة رضي الله عنه قال: "صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسّلا، إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبّح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرّ بتعوّذ تعوّذ.." الحديث(٢).

وعلى قارئ القرآن أن يتدبر آيات القرآن، وأن يتفاعل معها، فإذا مرّ بآية فيها ذِكر الجنة سأل الله الجنة، وإذا مرّ بآية فيها ذِكر النار استعاذ بالله من النار، وهكذا.

ومن التفاعل مع القرآن ما ثبت عن النبي ﷺ من قول (آمين) بعد قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ **[الفاتحة: ٦ – ٧]** فهو نوع من التفاعل مع القرآن بمعنى: استجب يا رب.

ومن ذلك أيضا: مشروعية سجود التلاوة، عند تلاوة الآيات التي يذكر فيها حال المؤمنين الساجدين الراكعين ؛ فإن ذلك نوع من التفاعل مع القرآن والاستجابة المباشرة لتوجيهاته، مع مراعاة المواضع التي يكون فيها سجود التلاوة.

ولا شك أن لهذه الأفعال أثرا في تدبر القرآن وتعلق القلب به.

المطلب السابع: البكاء عند سماع القرآن:

من الأسباب التي تعين على تدبر القرآن وفهْمه البكاء عند سماعه، وذلك بأن يتدبر المرء ما اشتملت عليه آيات القرآن الكريم من المعاني ويستحضرها، ويعيش معها بقلبه وكأنه يشاهد حقيقة ما يتحدث عنه القرآن، فيبكي متأثرا، مُوقنا بحقيقة ما جاء في كتاب الله، طامعا في وعد الله، حذرا من وعيده، وَجِلاً من

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ص٣١١ رقم ٧٩٣ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ص٣٠٦، رقم ٧٧٢ .

خشية الله، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢] .

والبكاء عند سماع القرآن علامة على إيمان العبد وتصديقه بما يسمع، وهو شأن أولي العلم العارفين بالله – تعالى – ، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ۩ ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ﴾ [الإسراء: ١٠٧ – ١٠٩] .

وقد بكى النبي ﷺ وهو يستمع إلى ابن مسعود عندما قرأ عليه سورة النساء، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: "قال لي النبي ﷺ: (اقرأ عليّ) ، قلت: يا رسول الله، آقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: (نعم، فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴾ [النساء: ٤١]، قال: حسبك الآن، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان)[١].

وفي رواية مسلم: "حتى إذا بلغتُ: ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء: ٤١] رفعت رأسي، أو غمزني رجل إلى جنبي، فرفعت رأسي، فرأيت دموعه تسيل".

وفي رواية أخرى لمسلم أن النبي ﷺ قال: (شهيدا عليهم ما دمتُ فيهم، أو ما كنتُ فيهم)[٢].

وقد تأثر النبي ﷺ بسماع هذه الآية التي تذكر ذلك الموقف العظيم عند مجيء الأنبياء للشهادة على أممهم، ومجيئه ﷺ ليشهد على أمته.

وقد بوّب البخاري لهذه الأحاديث بقوله: "**باب البكاء عند قراءة القرآن**"، وبوّب له الإمام مسلم لهذه الأحاديث بقوله: "باب فضل استماع القرآن، وطلب القراءة من حافظه، **والبكاء عند القراءة والتدبر**".

قال الغزالي: "ووجه إحضار الحزن أن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد، والمواثيق والعهود، ثم يتأمل تقصيره في أوامره وزواجره فيحزن لا محالة ويبكي، فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية فليبكِ على فقد الحزن والبكاء فإن ذلك أعظم المصائب"[٣].

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه ١٩٦/٦، رقم ٥٠٥٠ .

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه ص٣١٣، رقم ٨٠٠ .

[٣] إحياء علوم الدين ٥٠٢/٣ .

الخاتمـة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير من تلا كتاب الله، محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه وبعد:

من خلال هذا البحث استطعنا الوقوف على منهج النبي ﷺ في تعامله مع القرآن، المنهج النبوي الذي يؤدي إلى تدبر القرآن الكريم، ومعرفة الأسباب المعينة على ذلك، وهي نوعان:

أحدهما: يتعلق بالتلاوة وكيفيتها، من تجويد وترسّل وجهر وإطالة وتحسين للصوت.

والثاني: يتعلق بالبيئة المحيطة التي تعين القارئ على التدبر، وذلك بأن تكون القراءة في صلاة، وأن يتفكر القارئ في معنى الآيات، ويرددها ويسمعها من غيره، بالإضافة إلى التفاعل العملي مع الآيات والبكاء والوجل عند سماعها.

وفي هذا الزمن الذي قلّ فيه تأثر الناس بالقرآن لابد من الرجوع إلى المنهج النبوي في التعامل مع القرآن ؛ ليبقى قائدا للبشرية أفرادا وجماعات وفي كل المستويات.

ولذا فإنني أوصي بنشر المنهج النبوي في التدبر ، وتعميمه على أكبر نطاق في إطار المسلمين عموما والمهتمين بالدراسات القرآنية خصوصا.

وأوصي القائمين على حلقات تحفيظ القرآن الكريم بالجمع بين الحفظ والفهم والتدبر، ولابد من اتخاذ منهج دراسي يتعوّد فيه الطلاب ومدرِّسوهم على الوقوف على الآيات القرآنية وتدبّرها وفهْم معناها، كما كان حال الصحابة – رضوان الله عليهم — الذين كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل.

وأخيرا فإن التواصي بالحق، ونشْر فقه التدبر بين طلبة العلم مهم ؛ لحثِّ المسلمين على توثيق صلتهم بكتاب الله ، واتخاذه منهجا وسراجا يضيء الطريق إلى الجنة بإذن الله —تعالى– .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع:

- إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، وبهامشه تخريج أحاديث الإحياء، لأبي الفضل زين الدين عبدالرحيم بن الحسين العراقي، الناشر دار الشعب.
- التبيان في آداب حملة القرآن، تأليف أبي زكريا يحيى بن شرف الدين النووي الشافعي، حققه وخرّج أحاديثه بشير محمد عيون، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩١م، مكتبة المؤيد، الطائف، مكتبة دار البيان، دمشق.
- تفسير القرآن العظيم، للإمام الجليل أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق/ مصطفى السيد محمد، محمد السيد رشاد، محمد فضل العجماوي، علي أحمد عبدالباقي، جسن عباس قطب، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م، مؤسسة قرطبة، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، مصر.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق الدكتور/ عبدالله بن عبدالمحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، دار هجر، القاهرة.
- الجامع الصحيح، وهو الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، اعتنى به: محمد زهير بن ناصر الناصر، المشرف على أعمال الباحثين بمركز خدمة السنة والسيرة النبوية بالمدينة المنورة، دار طوق النجاة.
- سنن ابن ماجه، الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق/ محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية.
- سنن ابن ماجه، تصنيف أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، الشهير بابن ماجه، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف، الرياض.
- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، اعتنى به فريق: بيت الأفكار الدولية.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تأليف الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، المتوفى سنة ٧٣٩هـ، حققه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- صحيح مسلم بشرح النووي، الطبعة الأولى ١٣٤٧هـ ١٩٢٩م المطبعة المصرية بالأزهر.

- صحيح مسلم، للإمام الحافظ أبي سليمان مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، ط ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع – الرياض.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، راجعه سماحة الشيخ/ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه/ محمد فؤاد عبدالباقي، أشرف على طبعه/ محب الدين الخطيب، دار المعرفة – بيروت، لبنان.
- متن الجزرية في معرفة تجويد الآيات القرآنية، للعلامة الشيخ محمد بن الجزري الشافعي، بشرح الشيخ زكريا الأنصاري، الناشر/ المكتبة السعيدية، مصر.
- مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، وإبراهيم الزيبق، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- المصنف، لابن أبي شيبة، الإمام أبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، حققه وقوم نصوصه وخرج أحاديثه/ محمد عوّامة، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م، شركة دار القبلة، السعودية، مؤسسة علوم القرآن، دمشق.
- هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبدالفتاح بن السيد عجمي المرصفي المصري الشافعي، الطبعة الثانية، مكتبة المدينة المنورة.